45

تتمة

والتسليك الاعلى الملوك برحلة الهندية الكاملة بثلاث سنين مع ان كثيرا من الاولياء لم يقطعها بستين
فنقول ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ولا حجر على الفضل الالهي الخارج عن حيطة عقول العقلاء فليت شعري
ما يقول هذا المنكر في وصول من وصل الى الكمال باقل من يوم كما وقع لكثير من رجال القوم وقد قال الامام ابو منصور
الماتريدي رحمه الله تعالى ان هذه الطريقة ليس في طوله وقصره مثل المساحات التي تسلكها الانفس فتقطعها بالاقدام
على حسب قوة النفس وضعفها بل هو طريق روحاني تسلكه القلوب فتقطعه الافكار على حسب العقائد و
البصائر اصله نور سماوي ونظر الهي يقع في قلب العبد فينظر به نظرة فيرى بها امر الدارين بالحقيقة ثم هذا
النور ربما يطلبه العبد مائة سنة ويصرف فيها ويبكي فلا يجده ولا اثرا منه ومنهم من وفق في ستين سنة ومنهم
من وفق في عشرين سنة ومنهم من وفق في سنة ومنهم من وفق في شهر ومنهم من وفق في جمعة ومنهم من وفق في ساعة
ومنهم من وفق في لحظة بحسب قوة اليقين وضعفه انتهى فتأمل هذا الكلام الجزيل من هذا الامام الجليل ومنها
تلقين الذكر لبعض اهل الدنيا من ذوي المناصب والاتراف والمكاسب على طريق التبرك والمحسوبية لا بالارادة
السلوك والتربية قبل امرهم برمي الدنيا والخروج من مناصبها مع تبسطهم في الملابس والماكل والمفارش و
تلبسهم بالمخالفات فنقول تلقين الذكر لبعض اهل المناصب والاتراف والمكاسب على طريق التبرك وطرد الغفلة
عن القلب القاسي حتى ينصقل فيخشع وينيب الى دار الخلود ويتجافى عن دار الغرور فيترقى بالتدريج الى التوبة
مما فوقها ويسارق الشيخ نفسه الامارة الآبية بالتدريب والتوطين لئلا تنفر وتمل وتياس من الاصلاح
وتصر على المعاصي امر حسن هو من سياسة الارشاد ولو قال له اول الامر اترك واخرج من كل المظالم وصحح التوبة
والا فلا القنك الذكر ولا يليق لك قبول يد بر عن الهداية وينفر لاستصعابه كل ذلك ويحرم بعض الفائدة ه
المغتنمة وربما يصل الى حد اليأس وهذه السياسة موروثة من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع بعض الاعراب
فان بعضهم قال ادخل الاسلام بشرط سقوط صلوة الصبح عني وبعضهم بشرط غير ذلك فقبل منهم ستر البدر جاهم
على تمام الهداية فقد رجعوا عليها كما هو مستفيض واوحى الله الى النبي داود عليه السلام لما انف من مجالسة بعض
الفساق ونهاهم عن مجلس وعظه ان يا داود المستقيم لا يحتاج اليك والمعوج لا تقيمه فلماذا ارسلت فادخلهم
في سلك جلسائه وجماعة افادته فليت شعري هل من قائل بكون الظلمة والفساق حتى يطردوا بالتأييس من
علاج امراضهم القلبية وهل وضع الارشاد والسياسة الا للضال المعوج وهل يلزم ان يكون جميع الملقنين
بالذكر اهل ترك الدنيا وتجريد واستقامة ام منهم الواصل ومنهم السائر المخلط المتوسط ومنهم المترك
المتخلف الساقط وهذه السياسة الحسنة مشى عليها كثير من المشايخ المرشدين لغلبة رأفتهم وتموج رحمتهم على
عامة المسلمين كما بينه الامام العارف المحقق الشيخ عبد الوهاب الشعراني قدس سره في منته الكبرى وقال
الشيخ العلامة المنجي الشهاب ابن حجر الهيتمي المكي في خاتمة الفتاوى من المسائل المنثورة والاخذ من مشايخ متعددين
يختلف الحال فيه بين من يريد التبرك ومن يريد التربية والسلوك فالاول يأخذ ممن شاء اذ لا حجر عليه في ذلك
الاجوبة المرضية عن الفقهاء والصوفية للشيخ العارف الشعراني المذكور قدس سره وقد كان الشيخ ابو الحسن
الشاذلي رضي الله عنه يقول ينبغي للشيخ ان لا يأمر المريد برمي الدنيا الا بعد ان يمهد له بساطا قبل ذلك يذكر له
فيه ما يحصل له من انواع التقريبات الالهية واللطائف الربانية والعلوم اللدنية وهنالك يشتاق المريد لطلب
ما يدعوه الشيخ اليه ويبادر لامتثال امره وتهب عليه ريح التوفيق فلا يصير يقف مع شيء يحجبه عن حضرة ربه

عز وجل

46

عز وجل انتهى قلت والبساط المذكور يختلف باختلاف استعداد المريدين طولا وقصرا فمنهم من يتم تمهيده له
بمدة قليلة ومنهم من لا يتم تمهيده الا بمدة طويلة على حسب تفرس الشيخ فيهم وتفاوت معالجاتهم وفي
الكتاب المذكور وسمعت شيخنا شيخ الاسلام زكريا الانصاري رحمه الله تعالى يقول كأن لسان حال النفس
يقول لصاحبها كن معي في بعض الاغراض والآخر عنك وفي الحديث مرفوعا المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى
والمراد بالمنبت الذي حمل دابته فوق طاقتها حتى رقدت على الارض فلا هو قطع الارض ولا هو ابقى فيها قوة
تحمل بها نفسها فضلا عن غيرها وسمعت سيدي عليا المرصفي رحمه الله تعالى يقول لا بأس بتناول بعض الشهوات
المباحة تقوية للنفس اذا ضعفت عن القيام بالعبادة كما انه لا بأس باكل الطعام اللذيذ وشرب الماء البارد
والحلو لاجل استجابة الاعضاء للشكر بعزم وقوة كما عليه السادة الشاذلية فقد كان الشيخ ابو الحسن الشاذلي
قدس سره يقول لاصحابه كلوا من اطيب الطعام واشربوا من الذ الشراب وناموا على اوطأ الفراش والبسوا
الين الثياب والكتان واذكروا ربكم فان احدكم اذا فعل ذلك وقال الحمد لله رب العالمين يستجيب كل عضو فيه
للشكر بخلاف ما اذا فعل ضد ذلك فانه يقول الحمد لله وعنده اشمئزاز وبغض وسخط على معبوده عز وجل ولو
انه نظر بعين البصيرة لوجد اثم الاشمئزاز والسخط الذي عنده يرجح على اثم من تمتع بالدنيا فان التمتع بالدنيا
المباحة اخف بيقين من حصول الاشمئزاز والسخط وكان سيدي ابو المواهب الشاذلي رحمه الله يقول ان
طريقنا اظهار النعمة في الملبوس وغيره دون التقشف لما فيه من عدم انشراح النفس به فثياب احدنا كثياب
الاغنياء وقلبه قلب فقير فلا يكاد احد ينسبه الى الفقر لما هو عليه من الفخامة واكل الاطعمة الفاخرة وقال العلامة
المحقق الشيخ علي القاري الحنفي رحمه الله تعالى في شرح حديث ليذكرن الله اقوام في الدنيا على الفرش الممهدة يدخلهم
الجنات العلى من الحصن الحصين وفيه دليل على ان الملوك والامراء ومن يجري مجراهم من اهل الدنيا المرفهين لا تمنعهم
تنعمهم ورفاهيتهم عن ذكر الله تعالى وهم في ذلك مأجورون مثابون يدخلهم برحمته الجنات العلى وفيه ايماء الى ان
طريقة بعض السادة الصوفية كالنقشبندية والشاذلية والبكرية انتهى وفي كتاب رشحات عين الحياة ما معربه
ان امام الطريقة النقشبندية حضرة الخواجه بهاء الدين الشيخ محمد النقشبند قدس سره قال من كلام لاحد خلفائه
الخواجه علاء الدين الغجدواني عليه الرحمة كل الطعام جيدا واشتغل جيدا انتهى قلت وفي هذا القدر كفاية
لدفع هذه الشبهة التي هي معظم شبه المنكرين والله ولي التوفيق والهداية ومنها انكار اصحاب النخوة النفسانية
العلمية او النسبية من بعض مريديه ببعض الخدم الكاسرة لها كحمل الماء وعمل الطين وكنس الزاوية و
امثال ذلك قائلين ان في هذا اسقاطا للمروة ورد القبول شهادة فاعله من ذوي الهيئات فنقول لا مروة
اعلى من مروات الانبياء والاصحاب الكرام عليهم الصلوة والسلام ولا هيئة ارفع من هيئاتهم مع صدور كثير
من ذلك منهم كما قال العلامة المحقق محمد افندي الرومي البركلي الحنفي رحمه الله في الطريقة المحمدية وينبغي ان يستعمل
التواضع المحمود كما فعله الصحابة والاخيار ومن ذلك مباشرة اعمال البيت وحاجاته ككنس البيت وطبخ الطعام
وحمل المتاع من السوق الى البيت ولبس الخشن والخلق والمرقع والطيلسان والمشي حافيا ولعق الاصابع و
القصعة واكل ما سقط على الارض ومجالسة المساكين ومخالطتهم وانواع الكسب من البيع والشراء واجارة
نفسه للاعمال المباحة كرعي الغنم وسقي البستان والكرم وعمل الطين والبناء وحمل الحطب على ظهره فان كل
ذلك وامثاله تواضع فعله الانبياء عليهم الصلوة والسلام والاولياء رضي الله عنهم واكثر صدوره عن سيد
الكونين وصحابته المكرمين والتجنب منه والتأنف عنه كبر من اخلاق الجبارين ... يتكلفون ان

كما انه لا بأس بلبس الثياب الفاخرة اظهارا للنعمة لله عز وجل ه

لله سبحانه

اي المبسوطة الموطاة

العلى بضم العين جمع العليا اي الجنات العالية في الامكنة الغالية مجموعة للنعم الباقية عن الشارح

نية

رة

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)